

فوزي كريم



آخر الغجر



مكتبة
الفكر
الجديد

آخر الغجر



Author: Fawzi Karim
Title: The Last Gypsies
Al- Mada P.C.
First Edition : 2005
Copyright © Al- Mada

المؤلف : فوزي كريم
عنوان الكتاب : آخر الفجر
النشر : المدى
الطبعة الأولى : ٢٠٠٥
الحقوق محفوظة

دار مادي للثقافة والنشر

سورية - دمشق ص.ب. : ٨٢٧٢ او ٧٢٦٦ - تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ - ٢٣٢٢٢٧٦ - فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria

P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289

www.almadahouse.com E-mail: al-madahouse@net.sy

لبنان - بيروت - الحمراء - شارع ليون - بناية منصور - الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٧ - ٧٥٢٦١٦

E-mail: al-madahouse@idm.net.lb

العراق - بغداد - أبو نواس - محلة ١٠٢ - زقاق ١٢ - بناء ١٤١

مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون - جانب فندق السفير

E-mail: almada112@yahoo.com

All rights reserved. No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means ; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing, of the publisher.

فوزي كريم

آخر الغجر

شعر

٥١



الذنب

لو أن كل ضحية تنبيك عمّن أسهموا في القتل
كانوا كالحصى عداً!
والموج يضرب منذ آلاف السنين
على حصاة لا تلين!

هل اقترفت الذنب؟
بضعة أحرف نبتت على شفتي كالاشواك .
بضعة أنجم سقطت ، ولم آبه ،
وتلك نبوءة الأفلاك .
سحر بحيرة غرقت بها الأجيال ،
جيلاً بعد جيل ،
ثم لم أفتح فما لأقول :
أكثر من ذراع لوحات للإستغاثه!

لَمْ أَقْلُ لِلْمُنْشِدِينَ عَلَى سَوَاحِلِهَا :
طَمَرْتُمْ صَرْخَةَ الْمَوْتِ بِمَا احْتَالَتْ حَنَاجِرُكُمْ ،
وَبِالرَّايَاتِ أَخْفَيْتُمْ مَرَاقِدَهُمْ عَنِ الْأَنْظَارِ!

لَوْ أَنَّ كُلَّ ضَحِيَّةٍ تُنْبِيكَ عَنْ تَارِيخِهَا ،
أُتْرَى سَتَكْتَبُ شَعْرَكَ الْمَأْخُودَ بِالرَّايَاتِ ،
وَالذَّاتِ الْمَطْرُزَةَ الْخَوَافَ بِصَفْرَةِ النُّرْجَسِ؟
وَتَغْضُ طَرْفَكَ ، بِاسْمِ نَجْمَتِكَ الْبَعِيدَةِ ،
عَنْ دِمَاءِ أَخِيكَ ،

تُفْسِدُ كَأْسَكَ الْمُؤْنِسَ؟

لَوْ أَنَّ كُلَّ ضَحِيَّةٍ تُنْبِيكَ عَمَّنْ أَسْهَمُوا فِي الْقَتْلِ ،
مَنْ يَدْرِي؟

لَعَلَّ مَلَامَحَ الْوَجْهِ الْمُقَاتِلِ فِيكَ أَقْرَبُ قَاتِلِيهَا . . . !

ورقُ مدعوِكُ لقصائدٍ لم تُنجز

اكتشفُ بكلِّ معادلةٍ خطأً ،
أو هفوةً عقلٍ لا تُسمع .
وبكلِّ تنهدةٍ شائبةٍ كراهيةٍ
لا أعرفُ كيف أواريتها
عن عينٍ أخِي الإنسان!

لكنُ لحزني طعمَ ربيعٍ عابر ،
أشعره أحياناً في سوقِ الخضرِ ،
أو عندَ ملاحقةٍ امرأةٍ ،
أو إذ أنفردُ وحيداً بكتابٍ .

وكثيراً ما أشعره في بُعدين :
الماضي والحاضر .

والبعدُ الثالثُ طريقةُ بابٍ
في منتصفِ الليلِ ! .

فتيانُ الساحلِ ، يا فتیانَ الساحلِ :
أتأملُ في مشهدكم ، بين المَوجِ وبين الكاحلِ
أشرطةٌ من ذهبٍ لمغيبِ الشمسِ
تنعقدُ ضفائرَ بينهما .
وأنا أصغي لهما ،
أصغي لهما .

.. ٢/١/٢ .

ضعائنُ الناس

إنَّ قلبي خالٍ من الحب ، يا ربَّ
وهذي ضعائنُ الناس تسعى ،
مثلما تنشدُ السلاحفُ ماء البحر .
هل أرتضيك أنتَ ملاذاً؟
فبساطي رملٌ ، ومتكأي ملحٌ ،
وبيتي مما تحوِّكُ العناكبُ .
أمَّ البَيِّ نداءَ ربِّ سواكا
في خلايا دمي ، التي تتعرَّى
كلُّ فجرٍ للشمس .
لكنَّ فجرا
آخرًا يستعيدُها لسماكِ الأرض؟

إني خالٍ من الحبِّ يا رب ،
فمرأى جلدي كمرأى لِحاءٍ ،
ومذاقي أمرٌ من أنْ أواري ،
وغدي بعدٌ في غشاءٍ جنينٍ
أسقطته الأيام .

أحببتُ ، أحببتُ ولكن !

٢٠٠٢/٢/١٤

آخرُ الفجر

علانا المشيب .

ولم تعدّ الريحُ ترعى ضفائِرنا .

وأفراسُنا سُمُنت .

ومراقِدُ من ماتَ صارتَ مَزارا!

كلما فاجأتنا رياحُ الهضاب

أصَتنا ، كأننا عظامٌ مجوِّفة .

ليس يجرؤ ذئبٌ على سحنةِ الليلِ فينا .

ولا الشمسُ تدخلُ أبارنا . غيرَ أنا ،

بذاتِ التواتر ، لمْ تُبطلِ النسل .

أيها المتحاشون منا اقتربا
خففوا وطأة الحذر .
قد ترونَ مرابعنا طلالاً وهياكلَ .
لسنا ضحايا وباءٍ مضى ،
ووقودِ حروبٍ جرتْ ،
بل مرايا لكم .

نقطعُ الشوطَ لا نقتفي أثراً ،
أو نحاولُ مجدداً وراءَ الخرائبِ مندثراً ،
ولنا أملٌ أن نحاوركم ،
أن نحاورَ فيكم فما لا يكفُّ عن الإبتهالِ ،
ودماً يتطلعُ للشمس ، يرقبُ خيطَ الزوالِ
في استدارتها حين تغربُ!

هذا سبيلُ الرجوع ،
أيها الساكنون
جسدا زائلاً ، مثقلاً بمذاقِ الدموع .

٢٠٠٢/٤/٢٤

لا تعد النفس

لا تعد النفس بما لا ترى
من نعم ، إلا على راحتك . .
فأنت يا هذا مدين ، ولن
تعرف ، ما عشت ، من الدائن .
الرب؟ أم هذه الأرض التي تأكل أبناءها؟
أم كائن فيك يعزيك في مخاضة التاريخ بالأسئلة؟

أبيت أم شئت ، ستمضي الى
"مرتفع التل" وحيداً ، ومن
مرتفع التل ستلقي على
المدينة الزائلة
نظرتك العاجلة!

٢٠٠٢/٤/١٥

٢

تمضي الرسائل

لَمْ أَكْتُبْ وَحْدِي الرِّسَائِلَ فِي كُلِّ شَهْرٍ؟
أَحَاوَلْتُ أَنْ أَسْتَجِيبَ لَصِمَّتِكَ .
إِذْ أَدْعِي أَنْ صِمَّتِكَ أَبْلُغُ بِمَا أَحَاوَلُ .
فِي كُلِّ شَهْرٍ أَضْمِ إِلَى اسْمِكَ فِي أَوَّلِ السَّطْرِ مَا أَشْتَهِي مِنْ
خِصَالِكَ :

سَيِّدَةُ الشُّوقِ ، وَالْيَاسْمِينِ ، وَقَدَاحِ سُرُورِ الْحَدَائِقِ .
حَتَّى إِذَا مَا تَنَدَّتْ زَجَاجَةٌ نَافِذَتِي مِنْ بَخَارِ فَمٍّ ، قُلْتُ :
أَنْفَاسُ سَيِّدَةِ الشُّوقِ؟
لَكِنَّهُ اللَّيْلُ ، أَنْفَاسُ رِيحٍ مِنَ اللَّيْلِ بَارِدَةٍ .
ثُمَّ أَنْهِيَ الرِّسَالََةَ .

بَعْدَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَحَاوَلْتُ أَنْ أَسْتَجِيبَ لَصِمَّتِكَ ثَانِيَةً .
أَدْعِي أَنْ صِمَّتِكَ أَبْلُغُ بِمَا أَحَاوَلْتُ .

تمضي الرسائلُ من طرفٍ واحدٍ .
ويواصلُ صمتُك من طرفٍ ،
وتراوحُ بينهما دورةُ الأرض ،
والشمسُ .
حتى التواريخ تُكتبُ باسمهما ،
وتدولُ الدولُ !

٢٠٠٢/٥/٤

قد يعبرُ جنديُّ

عشراتُ جنودٍ بلثامٍ ، يلجون مراثينا ، كهواء بارد
في كهفٍ . هم يلجون مراثينا بلثامٍ .
شعثاً ، صدئين بفعل الزمن ، عراة الأقدام!
نسجوا تاريخاً مثل شباك الصيد ،
تهراً بالماء الراكذ .
والصدأ ، تأمل خضرته ، وخشونة ملمسه الخالد ،
يعلو أطراف أصابعهم ومرافقهم!

بيتي تسكنه اللحظاتُ
في هيئة كتبٍ ، أوراقٍ ، لوحاتٍ
تنتفض بفعل اللمسة! أحياناً
قد تُقبل ريحاً! أحياناً
قد يعبرُ جندي!

٢٠٠٢/٢/١٥



في القبر المعتم

ما من قطراتِ ندى في اللمس .

بل عرقٌ يقطر بين الجلد وبين ردائي ،

ثم يجفُّ بفعل الشمس!

أيامُ صباي ،

أيتها المدنُ الضاريةُ الشرسة ،

أعرضها بين يديك على طبقٍ

دام .

ما من عامٍ

إلا وانتظم كسنٌ في العجلات المسنونات المفترسة

في القبر الأعظم .

يقضم إذ يلتحم ،

... وأصغي ، ثم أخمن :

ضربةُ إبهامٍ

في وترٍ قبضةُ أحلامٍ
خائبةٍ تمسكُ بخناقِ التاريخ؟!
أو وقع حذاءي حربٍ رطبين على جادة

Hill Rise

أسمعها تُطبق ، في منتصف الليل
على آخر كورال القداس؟!!

قطراتُ دمٍ في الشفة بفعل جفاف الريح .
وامرأة ترقب ما في الشفة ولا تُهمَلُ .
بوشاح أزرق تُقبلُ وتقبلُ!
وتغيبُ
كرمال كتيب!

ما أوسع هذه الدنيا في عين الأمل .
ما أضيقها في عين التأمل!

٢٠٠٢/٥/١٥

ليلة عرس

بمحض الإشارة جاءت
وراء السياج المهدم ، مدت ذراعاً ،
تعرت الى النصف
- أحسستُ هذا بفعل ابتعاد التلامس -
ولت سراعاً .

ووحدي بقيتُ أداعبُ جذع النخيلة ،
حتى تجرّح عضوي .

مضت ليلة العرس : عشرون متراً مُضاءً
يقاومُ بحراً محيطاً من الظلمات .
ورائحة الخمر تثقلُ فوق السفينة كال موج ،
حتى ليوشك صوتُ المغني يكون نذيراً ،
وفي نصف إغفاءة تتراءى على عينه الناعسة!

غادرَ المحتفون .

وأنا ، ملء دسداشتي ، في الزقاق الى البيت أعدو ،

وأخفى وأبدو ،

شراعٌ يحاولُ أن يبلغَ اليابسة .

قارئ في الظلام

أنت تحرص في ساعة النوم أن تُطفى الضوء ،
أن تتأكد باللمس من قفل بابك ،
من أن نافذة البيت مسددة الستر .
تقفز كالقط فوق السلالم ،
تندس تحت الفراش ،
وتحلم :

أن الكتاب الذي كنت تقرأه فوق مقعدك
الآن يُفتحُ ثانية في الظلام ،
وأصابع أخرى تقلب أوراقه .
أن عيناً تُدِمْ النظر
في الفراغ المدوم بين السطور!

٢٠٠٢/٦/٢

١٠

تراكمت على ردائي

تراكمتُ على ردائي محنُ الماضي ،
وما تهرأ الرداءُ .
لأن كل ما ارتكبته من الأخطاءُ
صارَ من الرقة خيطاً في نسيجه
لذا فإني شاعرٌ أرقّ من مدينةٍ محاصرة ،
ولي فمٌ بلون قطعةِ الجليد
يقطرُ حرفاً ، ثم إذ يجمد ذاك الحرفُ في الهواء
يقطرُ آخراً ، فلا تلتحمُ الأحرف ...

أقولُ للشواهد التي على امتداد بصري :
إنتشري ، إنتشري .

فحيث تُلقين من الظلالِ فهو حقلي ! وأنا
مشرّدٌ في حقلِ حكمتي ، وقد
أتلف حكمتي الجراذاً

أقول للأرض التي هجرتها :
يا أرضُ ، يا سيئةَ الطالع ، يا منفضةَ الرماد ،
تقبلي واحتضني وليدك ، الذي إليك عاد ،
فهو مدينٌ لك ، ما عاش ، بهذا القدم العاثر .

٢٠٠٢/٧/٢٠

الدورةُ الداميةُ

أعوفُ مدينتي لكموا ،
وأخرجُ هارباً بدمي .
فكمُ أدمت ثيابكمُ الشعائرُ والطقوسُ !
وها أنتم ، على عجلٍ
تعيدون القتيلَ بهيئةَ القاتلِ .
وما أن تنضجَ الثمراتُ حتى يكثُرَ القتلى
بهيئةَ قاتلين !
وإذ يحين قطافُهم يُستبدلونَ بهيئةَ القتلى !
بذا تقضي الفصولُ ، تعيدُ دورتها ، ولا تبلى !

٢٠٠٢/٩/٥



خلوة ١

أظلهما قد انعكسا على السقف ،
بفعل إضاءةٍ من حرقِ الجسدين؟
أصوتُ مؤذنٍ في الفجر خالط فيهما النفسا ،
فحارا فيه واحترسا؟
أعن حبٌ ، أعن بغضٍ ، تحاشا أن يكونا اثنين؟
أعن أمنٍ ، أعن خوفٍ؟

٢٠٠٢/١١/١٥

✈

رأيتُ مدينتي

رأيتُ مدينتي في عينه فتبعْتُ خطوته الى المقهى .
له ما للمشاة من التعجلِ ، حيثُ لا هدفُ
سوى كرسيه ، والشاي ، والنرگيلة الأشهى ،
ومسبحةٍ يعدُّ خسائر الأيام
بنحزرتها ، مع السبابةِ المرخاةِ والإبهامِ .
وكان الليلُ يبدأ عادةً بوميضٍ لؤلؤةٍ
بجبهةِ قاسيون .
وقفتُ أرقبُ كيف تغرق في الضياءِ مدينتي ، وأنا
أحاول دونها مدنا .
كأنني شاعرٌ يرنو الى طللٍ ،
وأدغالٍ بالآفِ الجنادب وهي تصرخُ

٢٠٠٢/١١/١

خلوة ٢

أحببتُ في شفتك
طعمَ الدموعِ المستساغِ!
وهمتُ أن أرخي على كتفك
كفي ، ولكني خشيت بأن تحطُ على فراغِ!
من أنتِ؟
غايةُ رغبتِي في الحب؟
واحدةٌ من العشراتِ؟

عند الفجرِ يُطفأُ قاسيون بشدة الأمطار .
تبتلُ الحقيبةُ . قطرةٌ تبتلُ بالفضلات .
أحشرُ جثتي في المقعد الخلفي ، أسمعني أقولُ :
الى المطارِ . . الى المطارِ .

٢٠٠٢/١١/١٢

نديمُ الجليل

ندمائي كثيرون . من بينهم أصطفي زائراً ،
قد يكون فتىً ، أو مُسنأً .

به من ملامح بحارة القطب ما بي .
يميلُ الى الصمت .

إذ يبدأونَ مسراتهم مع آخرِ نخبٍ ، نكونُ انتهينا ،
أنا ونديمُ الجليلِ الذي في يدينا .

أقولُ له ما يقولُ ، كأنا نكررُ بعضاً .

وتعصفُ ريحُ ، وينهلُ ثلجُ ،

ويعلوا البياضُ على الندماءُ .

على أني والذي أصطفيه نلوحُ عمودي ضياءُ

في ظلامٍ به من ملامح بحارة القطب ما به .

٢٠٠٢/١١/٢٠

٢٠

مغامرة

في غرفته الشاحبة الضوء
يسحب نظارته من كمّ ردائه ،
كالساحر يُخرج مرآة لقراءة أعدائه .
يلقيها فوق الأنف المحمر ،
ويدسّ به كسفينة قرصان
في بحر قصائده المهتاج .
وبصوت عالٍ يقرأ للحيطان
ما تكشف عنه الأمواج
من مخارٍ ، وبقايا غرقى ، ودنان
لخمورٍ لم تعرف ضوءاً .
عاقرها يوماً ، دون الناس
شاعرُها العذب أبو نواس .

٢٠٠٢/١١/٢١

الى بدر شاكر السياب

حين عرّيتَ جرحَكَ بدرُ ، وضمّدتَ جرحاً سواه
هُدَمَ السورُ بينك ، بدرُ ، وبين الإله!
وأنا ، منذ عريتُ هذا الجسدُ
في الولادة ، لم أحتملُ
حرقةَ الشمس في وطني ،
وجليدَ المنافي الغريبة .
ولذا ظلُّ بيني وبين إلهك يا بدرُ
ظلُّ احتراسٍ وريبة!

أنا شاعرٌ ،
وإذا كنتُ ، من يختبر قدرتي
في احتمال الخسارة واليأس؟
تضحيتي حفةً من قصائد أندبُ موتاي فيها .

وعلى كاهلي يقفُ النسرُ أحذبَ ،
أوهنه الطيرانُ بلا هدفٍ .

ولذا ،

أي سورٍ سيهدمُ يا بدر؟!

٢٠٠٢/١١/٢٧

رسمُ الحصري

أحاولُ رسمَ الحصري بفرشاةٍ زيتٍ وحيدة ،
وبضعةٍ ألوان :

أولها لونُ جبهته ، وهي أكثرُ ألوانه أُلْفَةً .
ثم عتمةٌ معطفه ،

حيث يعلوا على أفقها طائرٌ أسودٌ
بجناحين كثرين .

كنت أحاولُ أن أستعين

بالوانِ خمرته كي تضيءَ

بعينه نافذتين ، وأرنبةَ الأنف!

لكن خمرته داخل الكأس مغلقةُ اللون ، لم تستجبُ

لفرشاةٍ زيتٍ وحيدة ،

وبضعةٍ ألوان .

إنني أحاول هذا ليومين ،

لكن معطفه يسع الأفق

خلفته معتما

بجناحين كثيرين لا يهدآن .

وأطفأتُ ضوء المكان .

٢٠٠٢/١٢/١

في انتظار الأعداء

في الليل
انتظر مجيء الأعداء .
اكتشف ضياع الوقت
من بين أصابع كفي .

منذ سنين
والساعة لا تتردد في وقع خطاها البلهاء!
وأنا أتمثل خطواتها في نبض وريدي فأجن .
والوذ ، كأي عراقي ، بالخمرة . من
يُربكني ، يربكُ هذا الرتل من الأحياء
في جسدي نحو الهوة ، غيرُ مجيء الأعداء؟

٢٠٠٣/١/١٤

•

الغزاة

في الليل أطفئُ كلُّ ضوءٍ ،
أترك الشباك دون ستارةٍ ،
وأشرعُ الأبواب .

إني أعرضُ للغزاة خرائبي :
كتباً ، ومحبرةً ، وأشباحاً تبادُلُ بينها الأنخابُ .
وأجرٌ ذيلَ ردائي الملكي ،
تتبعني التماعاتُ النجومِ على السلاالمِ ،
دون حراسٍ ولا حُجَّابٍ .

أرقى ، فينكشف الحجابُ .

اختار من شبك المجرة ما يطاوعني
لكي أفنى
بظلمة ليلاها الجذاب.

٢٠٠٣/١/١٥

في المحطة

تحتَ وقعِ المطرُ ،
ورائحةِ الخشبِ الرطبِ ،
ما كان متسعاً للمسافر ، بين لفافة تبغٍ وأخرى ،
سوى
أن يعيدَ النظرُ
في احتمالين : أن ينحني لرياحِ القدرِ
ويعيد الحقيبة للبيت ،
أو في احتمالِ السفرِ !

٢٠٠٣/٥/١٦

→

العودة

يعود إلى ما توهمه الآن بيتاً ، وخمارة ، ورصيفا .

يقول لمن كان حياً ،

وأصبح في مسرح الظل طيفاً خفيفاً :

لقد عدتُ !

- بين احتمالين : قد يبرأ المرء أو يُبتلى !

- أه من حكمةٍ لم تزنْ ثقلَ موتك !

- معنى حياتك في أن تُبرأ مما أصابك ، أم في

ابتلائك؟

: ما الشعرُ ، قلْ لي؟

لماذا يحاوله منذ عادَ ، و يأبى على المنشدين ؟!

٢٠٠٣/٥/١٨

→

الإقامة

تعلم من نار موقدها كيف يدفأ .
من ماء قُلَّتْها كيف يُروى .
تعلم منها ،
بفعل انطفاء المصابيح في عينها ،
أن يرى في الظلام .
تعلم كيف يحيط محارته بالرعاية ،
بنفس طريقته في إحاطة حكمتها بنسيج الكلام ،
لكي لا يضيع صدى بحر غربته !
سيحلوه في الإقامة أمران : حاضرها ، ووساطة ماضيه .
بينهما سوف يهدأ .

٢٠٠٣/٦/٧

محترفُ الأنفاق

أنا محترفُ الأنفاق ،

سأعودُ إليهم .

أختبرُ طريقَ مخاوفهم بما يرثون .

سأحيطُ أياديهم بيديّ فلا يثقون!

لكن سأراهن .

سألبي رغبتهم ، في البدء ، بفصلِ الميتِ عن الحي

في الواحد منهم . ثم أعيد الحيّ الى ماءٍ سيكونُ ،

والميتَ الى ماءٍ ساكنٍ .

وسأدفنُ وجهي في نفقِ الموتى ،

وأرتلُ فيهم مرثيتي ، بيتاً بيتاً!

٢٠٠٣/٦/٧

بقالية الرسائل المنسية

وأنت ، يا صاحبَ بقالية الرسائل المنسية ،
ومخزن الكافور ، والمحظور من قوائم القتلى ،
ألم يعد إليك جندي ، ومجهول بلا هوية ؟
وفاقد في السر أذنًا وفما ،

وسائل ، دون ذراعين ، عن الماضي الذي
عانقه يوما ، وولى بهما ؟

صياد أسماك على راحته

يعيد مجرى مائه الذي طما

يوماً ، فما أغرق غير زورقه ؟

سيزهرُ التوت ، ويحلو التمر ،

والنارنج يستلقي على أسوار بيت الجار ،

كالأقمار ،

والفُجُلُ الذي في قبضةِ الآباءِ في عودتهم عصراً
سينحلُّ إزارُ امرأةٍ الحيِّ وتُشفى عللُ الشبان .
ما أروعَ هذا الصيف؟

٢٠٠٣/٦/٨

رائحةُ التوت

من منا ينتسبُ لبعضٍ :
هل أنتِ ، بهذا الوجهِ المتغصّنُ؟
أم نحنُ ، رعاة طريقِ اللاعودة؟
أم أن كلينا ، يا بغدادُ
ينتسبُ الى الجلادُ؟

رائحةُ التوتِ على أرداني ما زالت ،
لكن التوتَ تلاشى والأسماءُ
ما عادت تخرقُ التيارَ .
بل صاروا ينحدرون معا للبحر
كما تنحدرُ الأنهارُ!
من يكسبُ قوتَ غدٍ
من ذاكرةٍ تُخصبُ تربتها الجثثُ؟
ومن ينتصرُ على حاضره بعصا الترحالِ؟

ما بينَ العالمِ كابوساً
والعالمِ ماءً وظلالاً
تنفردُ قصائدُنا ،
كحدودِ دفاعٍ من أسلاكٍ شائكةٍ

٢٠٠٣/٦/٩

رؤيا داود البَلَّوة

تلاشوا جميعاً :

علي بن ، كَسْكِين ، بعرورة ، وأبو عُلص .

سُدَّة ناصِر ، شُكْرِيَّة العرصة ،

وحمارة يوسف ، حنْدَش ، فَنَفْنُ ،

حمزة الاخرس ، بعرورة ،

وأبو نُخْرَة ،

وعليان ،

طيزان ،

قنبر ، قرش أبي قرش ،

علوان الأسود ، عريِد ، حربية ،

كَرَكَاتُ كَرِيم العبيد ،

عباس عَكِّي ،

وبابل ،

قرّداش ،
وابنُ الأجم ،
تنفّس ،
عَفّي ،
ودبابةً ،
وبليع ،
وبلسي ،
وصونةٌ . . . !

ما من أحدٍ
سيسعى لرائحةِ الطلحِ مكتراثاً :
" زَبَرُوا النخلَ ، هذا أوانُ اللقاحِ ! " .

وداودُ هذا الصباحُ
يلحُ على أذنِ عبدونٍ بالهمسِ :

" شرُّ البليَّة ما يُضحكُ!
أتعرفُ ، عبدونُ ، أني نبيُّ ، وأسمعُ صوتا
يلعّ عليّ : " أنْ ارعَ " . ولستُ براعٍ
" ستُبعثُ قطعانُ موتى
وتملأُ حقلُكُ " . في عين عقلي
رأيتُ قطيعيَ أشلاء قتلى بأكياس قنَّب!
وها أنا أضحكُ ، عبدون ، أبكي ، وأعجب!

٢٠٠٣/٦/١٩

عند باب كاردينيا

عند الباب المغلق من واجهة كاردينيا
رجلٌ ، بقيافة كهلٍ متقاعد ،
ينتظر . أنا الآخر ،

بقيافة كهلٍ عاد من المنفى توأ ،
قرفصتُ على بُعد ذراعين
منه ، ولم أمهله : "أتعرفُ موعدَها؟"

"خمارة كاردينيا كانت

مرتادي قبل الحرب ، ولي فيها
زاويةٌ وندامى . بعد الحرب طواها النسيانُ .
وأنا أرتاد مكاني هذا منذ زمان ،
أنتظرُ الموعدَ" .

مدَّ يدا بلفافةٍ تبغٍ ، ثم مددتُ يدا .
وانتشر دخانُ حجبِ الناسِ
عن رؤيةِ رجلين أقاما
عند البابِ المغلقِ ، فوقَ رصيفِ "أبي نواس" .

٢٠٠٣/٧/١٢

الرأسُ ملاذُ الطيرِ

في زمنٍ آخر ،
لا يعتاشُ به الإنسانُ على أحزانِ الغيرِ .
والقدمُ المُنْقَلُ لا يُثقله إلا وهمُ السيرِ
من غير هُدى .

نائحةٌ أثقلت الأشجارُ
بشمارٍ ، لا يقربها حتى تنضجَ ، أهلُ الدارِ .
وإذا ما حان قطافُ
لا يأكلها إلا العائدُ من منفاه المختارِ .

وأنا العائدُ ،
جنديٌ يمسكُ في راحته حفنةَ تذكّارِ
لا يحسنُ حتى منعَ تسرّبها
من ثقبٍ في راحته .

في كلِّ عمودٍ من أعمدة الضوء بكورنيش أبي نؤاس
سأقيم لكلِّ منكم شاهدةً يا ندمائي ،
وعليها أكتب ، دونكمُ ، سرُّ بقائي .

٢٠٠٣/٧/٣١

لَمَ الهمُّ يا شعبُ!

يلوحُ فمي من وراءِ الزجاجِ
كأن فمي ناطقٌ قدرا!
وفمي إذ يلوحُ ، يلوحُ وقد طرزته ظلالُ الشجرِ
وبضعُ شظايا تناثرُ من قطراتِ المطرِ!

كذلك موتي ، الذي هو صنو الحياة ،
يداعب بي وترا ،
فتطلعُ دانيةُ كقطوفِ الثمرِ
قصيدةٌ روعي
على قارئ ساكنٍ في جروحي .

لَمَ الهمُّ يا شعبُ! كوكبنا سارحُ ،
ومجرتنا تتلألأُ مثل عروس

من الزنج!

ما الهم يا شعب! هذا متاه

يليق بنا .

وما هذه الريح تدفعنا ،

سوى رغبةٍ لمتاهٍ سواه!

٣ / ١٠ / ٣ .

التلميذُ العاق

سنواتُ جُزْنٍ وهو يصفي

لي مثل الأشجارُ

تصفي لفصول السنة . معي

قطع التيارُ

للنبح . ولم يُمهلني حتّى في القيلولة ،

يُملي عن فمي المتعبِ ما لا يُفهم .

يكثرُ كمن يتكتم .

في يومٍ من أيام الشيخوخة ،

داهمني أزرق كالياقوت .

جرّدني من عمّة راسي ،

ألقي في وجهي حبرَ دواتي ، ونشارة قرطاسي ،

وارتحل ، كمن مع قدرٍ موقوت!

سنوات جُزْنَ ولم تنقطع الأرجلُ عن داري
تعزيةً . كنتُ أجاريهم
عن غيرِ رضا .
فانا ، مُذْ حطَمَ متكني
في ركني الأعزلِ ومضى ،
أبصرتُ على آثار خطاه
درباً للحكمة آخرَ ، غير دواتي والقرطاس!

٢٢ / ١٠ / ٢٠٠٣

أريدُ أن أحيا بلا غاية

أريد أن أحيا بلا غاية ،
في هذه الفضلةِ مما تبقى من سنيني الكثر .
أريدُ أن أسكن في مشهدٍ
من حلم اليقظة ، لا منتهمٍ
الى زمانٍ ، وفي
ثانيةٍ منه علاها الغبارُ ،
خرساءً ، لا تعلنُ عن ميتةٍ
أخرى ، وعن ولادةٍ
أخرى ... كفاني ، كفا ...

٣٢ / ١٠ / ٣

التاريخ

طبشورٌ أبيضٌ بين أصابعِ أستاذ ،
يتلاشى في أرقام فوق اللوح الأسود .

٢٠٠٣/١٢

السحلية

ودخلت سحلية الرمال بيتي .
مدخل السحال مكفول ، فبيتي
آخر استراحة الرسول .

قطعت إنشادي على الفراغ ،
ورحت أصغي لخطا السحلية المملة
من شفة الغيب : "أنا السحلاة ،
مذ نقد السم بجسمي ، أوهنت جسمي التنهدات!

الشعراء بلغوا مشارف الضوء ،
ومن مشارف الضوء سيسعون الى مشارف الكلام!" .

وأنت ، ما أعددتَ للرحلة غير عُدَّةِ الطعام
وهذه العكَّازِ ، والمشكاة؟

٠٤/١/٢٧

أسرى الدموع

١

تعالَ أهددُ معنى انشغالي

لخمسٍ وعشرين :

بالرأس ، لم يتجرأ على دورة الأرض؟

أو يختبرُ وطناً غيرَ هذا المعلقِ في مقلبٍ؟

أم بهذا الجسدُ ،

يحاولُ في دمه آخرأ لا يجيبُ ، فما منَ أحد؟!

ولمَ أنشغل بالغُصينُ ،

يزاحمُ نافذتي منذ خمسٍ وعشرين ،

يحملُ في لامبالاته جوهريْن :

سمادَ مضاجعنا في المكانِ ، ودورةَ هذي الفصول!

كأنني ، إذا أمطرت ، أشتكيه جفافاً فمي ،
أو صفت ، أشتكيه الفضول !
كأصداً مجرى من الشرق صفحته ، وهي تقطرُ
أو شفة دُبُّ فيها جفافُ الكلام ، فماذا تقول !

سأكتبُ عنه القصيدة يوماً ،
وأجرؤ أن أضعَ اللحن .

هذا الزمانُ ، تفادياً لمصابه
أرخيتَ حبلَ الوصلِ مع أصحابه

في عزلةٍ أرضيتَ فيها راهباً
يحتالُ فيك على عفافِ ثيابه

وخلُصتَ ، في كأسٍ ، لبيتِ آمنٍ
كم شقَّ مدخلُه على طلابه

أسرى الدموعِ سرّو إليه محجّةً ،
فإذا التقوا سجدوا على أعتابه!

وقد بلغت بي الثلاثون ستين عاما

وأحسب أنني ،
بعمر الثلاثين ، أقطع شوطاً الى ما أريد .
ولا يفهم الناسُ أمري ، فيحتسبون .
وأنسج حياً
كعاصفة الثلج لامرأة تنسج الشعر كالقشعريرة .

أقول لأمي التي ولدتني بفعل التلاحح :
إني وريثُ أبٍ منك لم يفرشك !
فتعجبُ بما جنت يدها . غير أنني
أراها على غير ما يرتضي إخوتي :
سلماً لبلوغ الغياب .
لأنني أعللُ شعري بما ليس فيه ،
وقارئ شعري بما يرتثيه ،
إذا هو أمسك عن شاغل ، واكتفى .

ولكنني والثلاثين قوسٌ ونشأته لم يصبُ هدفا .
دخلتُ احترابَ توارِيخيهم : هتفوا باسمهم ،
وارتضوا لعدوهم سمةَ الخاسرين!
كأنني حسمتُ احترابي مع النفس!
هذا أواني ،
وقد بلغتُ بي الثلاثون ستينَ عاما!
كما يتقاطرُ رملُ الثواني!
سأعشق امرأةً أتوهمها تنسجُ الشعرَ كالقشعريرة ،
وأرتادها كجزيرة ،
وأفنى هياما .

يطوفُ بي الشعرُ خارجَ مرماكمُ ، يا سُعاةُ .
أنا ، واحترابي مع النفسِ . لا ما تعافُ الحياةُ .

٠٤/٢/٢٦

سأعود غداً

سأعودُ غداً ، أو بعد غد
وأعيد السمكَ من الحوض الراكد
لمياه التيار ،

وغنائي في منفاي الى الخمارِ
: "ياخمارُ

عرّيني من وطأة ذاكرتي ، عرّي الفتیانُ
من وطأة موتاهم!"

ما أطولَ درب العودة يا بغداد؟
ما أعمقَ رائحة الجلاذ
بين غضونك؟
ما أطولها سنواتُ المنفى من دونك؟
طمّعتني ربع القرن بأن أختلق بديلاً عنك

فهلَ رماذُ

من رأسي .

ثم ألفتُ رسولك ، طارقَ بابي في منتصف الليل؟

ذاكرتي قطعت حبلَ الوصل مع الزمن العابر ،

وانتبذت بيتاً في "مرتفع التل" :

لا يرقى الطيرُ إليها ، أو ينحدرُ السيلُ .

ستكون وسيطي ، حين أعود ،

وأنيسي ، حين يضيقُ على عنقي

حبلُ الحاضر .

٢٠٠٤/٣/٩

الحفل

أقول للذين عززوا الخطى لغدهم
كمن يعزز الخطى لبيته الأمين :
الشعر لا يقترح المدينة المثلى .

كأنتي أعددتُ ،
منذُ قادني الشعرُ الى مزارعِ القتلى ،
حفاً دعوتُ فيه سادة اليقين .

على مدى الأفقِ أرى دورة راقصين
سوداء ، في انحناء المنجل ساعة الحصاد .

٢٦ / ٣ / ٤٠

المدينة الغائبة

(بعد أغادير)

١

كأنني أدخل في المدينة الغائبة
مدينة وطائها ، فعادني صوت أبي العلاء :
"أرخ عظام أهلك القتلى !"
أرخ عظام أهلك القتلى !"
وكنت مأخوذاً بما يرجع من مراكب الصيد
من الأصداء ،
والسماك الحي ، الذي سرعان ما يُقلى :
"اللحم لابن آدم ، وفُضلة العظام
للقطط السائبة !"

كأنني أدخلُ في المدينةِ الغائبة ،
أقفزُ من لائحة السواحِ في مرسى أغادير ،
وأعدو .

كم على الانسان أن يعدو كي يفقدَ ظلُّه؟
وكم عليه أن يُحبَّ
كي يعيدَ سحنةَ الرضا الى الشتاء؟
وكم عليه أن يخففَ الوطأَ لكي يُرضي أبا العلاء؟

كأنني أقفزُ من مراقد الموتى على الميناءِ

منذ صبا ١٩٦٠

أصابني الصدعُ الذي حلَّ بهذي الأرضُ
مذ حل بي الشعرُ ، الذي أيقضني من حلمي المكتظُ

بالوهم ، ثم قادني لموطن السريرة .
وقال : إنَّ من رحي السريرة العمياء
تنبعثُ الهزة : أحياءُ الى موتى ، وأمواتُ الى أحياءُ

يا وطني الغائمَ خلف الماءِ والنخيلِ
وخلف هذا الشبحِ المخمورِ
بالقتلِ ، والقاتلِ ، والقتيلِ
ويا شبيهي ، كم على الرحي تدورُ ،

تبعث بي جمعجة الشعر ، وفيك زحمة القبور؟!
وليس من بديل
يا وطني الغائم خلف الماء والنخيل .

اخذي يديّ ، فيهما مرسىّ لأوهامك يا خديجة
 وجسدي ، مرقد أحيائك
 واصفي الى الرحى تدور في كليتنا :
 جسدي المحتلّ
 بالشعر ، يسعى في الضلالِ أشعث الشعر ،
 وهذا التلّ
 يبلغ ساحل الأمان
 في لحظة غافلة من الزمان .

٢٠٠٤/٥/١٤

مباهج

ما الليلُ غيرُ غفلةِ الشمسِ! أمِ النهارُ
غفلةٌ كونٍ ضاربِ العتمة؟!
وكيف وزعتُ حياتي بين غفلتين ،
وطفتُ مثل عقربِ الساعةِ دورتين
في اليوم؟ واحتلتُ على النفسِ بما سمَّيته الوقت؟!!

وفي النهارِ اللندني المشمس ،
وحين تحلولي قراءةُ الشاعرِ لوكریتوس في
حديقة البيت ،
وارتمي ، أنا وكأسي ، وكتابُ الشعرِ فوقَ العشب ،
ينتابُني ذاتُ السؤال :
هل حياتي غفلةٌ في الموت؟
أم موتي ، الشاخصُ فزاعةُ

للطير في الركن القصي ، غفلةُ الحياة؟
أم أن وهمي غرقى الوشيك؟
أم أنه ، في غمرة الطوفان ، قاربُ النجاة؟

٢٠٠٤/٦/١٦

القصائد

5	الذنب
7	ورق مدعوك لقصائد لم تنجز
9	ضغائن الناس
11	آخر الفجر
15	لا تعد النفس
17	تمضي الرسائل
19	قد يعبر جندي
21	في القبو المعتم
23	ليلة عرس
25	قارئ في الظلام
27	تراكمت على ردائي
29	الدورة الدامية
31	خلوة ١

33	رأيت مدينتي
35	خلوة ٢
37	نديم الجليلد
39	مغامرة
41	الى بدر شاكر السياب
43	رسم الحصري
45	في انتظار الأعداء
47	الغزاة
49	في المحطة
51	العودة
53	الإقامة
55	محترف الأنفاق
57	بقالية الرسائل المنسية
59	رائحة التوت
61	رؤيا داود البلوة
65	عند باب غاردينيا
67	الرأس ملاذ الطير
69	لَمْ الهمَّ يا شعب

71	التلميذ العاق
73	أريد أن أحيأ بلا غاية
75	التاريخ
77	السحلية
79	أسرى الدموع
83	وقد بلغت بي الثلاثون ستين عاما
85	سأعود غدا
87	الحفل
89	المدينة الغائبة
95	مباهج

للمؤلف

شعر:

حيث تبدأ الأشياء

أرفع يدي احتجاجاً

جنون من حجر

عشرات الطائر

لا نرث الأرض

مكائد آدم

قارات الأوبئة (ترجمها الى الفرنسية سعيد فرحان تحت

عنوان Continent de douleurs)

قصائد مختارة (القاهرة)

كواسيمودو- قصائد مختارة

الأعمال الشعرية في جزأين

السنوات اللقيطة

نثر:

من الغربه حتى وعي الغربه

أدمون صبري

مدينة النحاس

ثياب الأمبراطور

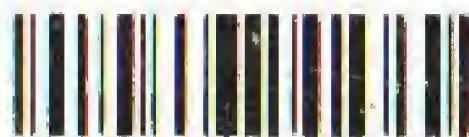
الفضائل الموسيقية

العودة الى غاردينيا

يوميات نهاية الكابوس

أنا شاعرٌ ،
وإذا كنتُ ، من يختبر قدرتي
في احتمال الخسارة واليأس ؟
تضحيتي حفةً من قصائد أندب موتاي فيها .
وعلى كاهلي يقفُ النسْرُ أحْدَبٌ ،
أوهنه الطيرانُ بلا هدف .

al-mada baghdad



20333